تحققات تاريخية

Identifications de certains lieux à Baghdâd

١ — قبر الخلاني اي الخلال

اذا سار سائر اليوم ببغداد بجادة باب الشيخ عبد القادر الجيلي « رض » مبتدئاً من اولها الغربي المتصل بالشارع العام ثم قطع قراب نصفها فيرى عن يمينه دوبا به قبر الرجل الزاهد الذي كتب في نص زيارته انه « محمد بن عثمان الخلاني » والتاريخ المرقوم فوق باب القبة التي على قبره هو « ١٣٠١ » هـ فهو تاريخ آخر عمارة له، ويزوره الشيعة والسنيون .

وقد ورد في ص ١٩٠ من كتاب عمران بغداد في البحث عن مقابر بغداد «١١ — سائر المقابر المهمة كمقابر النواب الاربعة المعروفين بوكلاء الناحية ايضا وهم عثمان بن سعيد العمري الزيات من اصحاب الامامين الحسن العسكري وابيه علي الهادي — ع — وابنه محمد بن عثمان وابو القاسم الحسين بن روح وابو الحسن علي بن محمد السيمري وكلها تقع في الجانب الشرقي » فهو يريد بمحمد بن عثمان صاحب القبر المذكور آنفا واجتزأ عن تعيين القبر بانه في الجانب الشرقي فقط .

قلنا : ظهر لنا بعد تحقق وتتبع ان صاحب القبر ليس بمحمد بن عثمان فقد قال ياقوت في مادة « باب الخاصة » من معجمه للبلدان ما نصه: « باب الخاصة : كان احد ابواب دار الخلافة المعظمة ببغداد احدثه الطائع لله تجاه دار الفيل وباب كلواذى واتخذ عليه منظرة تشرف على دار الفيل وبراح واسع واتفق ان كان الطائع يوما في هذه المنظرة ، فجوزت عليه جنازة ابي بكر عبدالعزيز بن جعفر الزاهد المعروف بغلام الخلال . فرأى الطائع منها ما اعجبه فتقدم بدفنه في ذلك البراح الذي تجاه المنظرة وجعل دار الفيل وقفا عليه ووسع به (كذا) في تلك المقبرة وهي الان على ذلك إلا ان الباب لا اثر له اليوم ويتلو هذا الباب من دار الخلافة باب المراتب » .

قلنا : وقبر الخلاني اليوم قرب « الدبخانة » وهي بقية باب كلواذى ولا تزال مرامي السهام ظاهرة في برجها المنخفض اليوم كثيراً والبرج قبالة طريق السيارات المتجهة نحو الكرادة والهنيدي، وقد صار هو واصل السور كنيسة للبرتستان الآن. وفي مادة « قنطرة البردان » من معجم ياقوت « روى عنه غلام الخلال عبدالعزيز ابن جعفر الحنبلي » وتوفي سنة ٣٦٣ على ماذكره ابن الاثير «٨ : ٤٧٦» وجادة باب الشيخ اليوم من محلة باب الازج قديماً على ماذكرنا في تعيين هذه المحلة سابقاً (٢: ٤٤١ الى ٤٤٤) ويؤيد هذا ماذكره ياقوت في مادة قصر الكوفة ونصه :

« قصر الكوفة : ينسب اليه عبد الخالق بن محمد بن المبارك الهاشمي ابو جعفر ابن ابي هاشم بن ابي القاسم القصري الكوفي ، ذكره ابو قاسم تميم بن احمد البندنيجي في تعليقه فقال : القصري من قصر الكوفة مولده في سنة ٥١٣ ... قال تميم : ومات ببغداد سنة ٥٨٩ في ثاني رجب ودفن بباب الازج عند ابن الخلال» اه قلنا : اي عند عبد العزيز بن جعفر الذي تعرفه العامة اليوم بالخلاني .

وورد في ص ١٠١ من الحوادث الجامعة عن نتائج احتلال هلاكو لبغداد ما عبارته : « ثم عين على بعض الامراء فدخل بغداد ومعه جماعة ونائب استاذ الدار ابن الجوزي وجاؤوا الى اعمام الخليفة وانسابه (١) الذين كانوا في دار الصغر ودار الشجرة فكانوا يطلبون واحداً بعد آخر فيخرج باولاده وجواريه فيحمل الى مقبرة الخلال التي تجاه المنظرة فيقتل فقتلوا جميعهم عن آخرهم» وخلاصة الكلام ان الخلاني اليوم ببغداد هو ابو بكر عبد العزيز بن جعفر الزاهد فهل من مدع غير هذا؟

٢ — المنطقة اليوم ليست بمسجد براثا القديم

وردفي ص ١٢١ من تاريخ مساجد بغداد ماصورته « مسجد براثا أو المنطقة هو من مساجد بغداد القديمة العهد يتبرك به الشيعة الى اليوم لما ثبت عندهم ان الامام عليا كرم الله وجهه بعد فراغه من واقعة النهروان ورجوعه عبر دجلة وصلى باصحابه عند دير راهب كان قريبا منها فاتخذ شيعته مصلاه مسجداً »

١) « جمع نسيب «وفعيل على افعال مطرد نحو « شريف اشراف » و «بديل ابدال » و « شريك اشراك » و « بري ابراء » و « مشيخ امشاخ » و « مليح املاح » و « قبر اقبار » و « نصير انصار » و« جليد اجلاد » و « يتيم ايتام « و «شرير اشرار » ويجوز ان اصله النسباء .

رفي ص ١٢٢ منه « وهـذا المسجد اليوم يسمى المنطقة وهو على نحو ميل او اكثر غربي الجانب الغربي من بغداد بين بغداد وبين الكاظمية عن يسار الذاهب من بغداد الى الكاظمية وحوله مقبرة لموتى الشيعة » .

وورد في ص ١٤ من «مناقب بغداد »: وفي سوق العتيقة مسجد تغشاه الشيعة وتزعم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام صلى هناك » وقد علق به محمد بهجة مهذبه ماعبارته «يسمى مسجد براثا ويعرف الآن بالمنطقة » والذي غر محمداً المذكور ما ورد في ص ٢١ من المناقب نفسه ونصه « وكان في براثا مسجد يجتمع فيه قوم من الشيعة وربما ذكروا الصحابة بأمر فأمر بكبسه عليهم فأخذوا وعوقبوا وحبسوا وهدم المسجد وعفي اثره الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة فامر الامير بحكم باعادة بنائه فبني بالآجر والجص وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه وكتب في صدره اسم الراضي بالله ثم امر المتقي بالله بنصب منبر فيه واقيمت الجمعة في سنة تسع وعشرين وثلثمائة » وليس في هذا دليل على ان مسجد براثا هو مسجد العتيقة واين براثا من العتيقة ؟

وتابع الى هذا مؤلف عمران بغداد ففي ص «١٩٠ـ ١٩١» من كتابه ذلك قال « وكان في براثا مسجد جامع يجتمع فيه الشيعة يسمى بمسجد براثا . وكان الشيخ المفيد (ر ٢) يعقد فيه حلقة درسه ويقيم فيه صلاة الجمعة وهو يقع اليوم في منتصف طريق بغداد ـ الكاظمية وحوله المقابر الكثيرة اه. قلنا: وليس قوله بشيء على ماستراه وقد كرر المرحوم السيد محمود شكري الآلوسي الوهم فقال في ص ١٣٧« سقاية نجيب باشا انشأها في المنطقة أو مسجد براثا » .

بيان موضع براثا وان براثا غير العتيقة

قال ياقوت في مادة « براثا » ماصورته « براثا بالثاء المثلثة والقصر : محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ (١) وجنوبي باب محول (٢) وكان لها

١) والمنطقة اليوم في طرف مدينة المنصور الدائرة من جهة الشرق لا من جهة القبلة بالكرخ

٢) قال ياقوت في مادة «المحول» ما عبارته : « وباب محول محلة كبيرة هي اليوم منفردة بجنب الكرخ وكانت متصلة بالكرخ اولا» فان كانت براثا في جهة القبلة من الكرخ وجنوبي باب محول وكان باب محول منفصلا عن الكرخ نحو الغرب فما ابعد براثا عن المنطقة !

جامع مفرد تصلي فيه الشيعة وقد خرب عن آخره وكذلك المحلة (١) لم يبق لها أثر فاما الجامع فادركت انا بقايا من حيطانه وقد خربت في عصرنا واستعملت في الابنية ... وكانت براثا قبل بناء بغداد قرية يزعمون ان عليا (٢) مر بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان وصلى في موضع من الجامع المذكور وذكر انه دخل حماما كان في هذه القرية » ا ه وليس في هذا الكلام مايدل على ان براثا هي العتيقة واستمر ياقوت على كلامه مميزاً « براثا » عن « العتيقة » قائلا : « وقيل: بل الحمام التي دخلها كانت بالعتيقة ، محلة بغداد خربت ايضا » فهذا تصريح ظاهر كل الظهور بان العتيقة غير براثا وان المنطقة هي مسجد العتيقة لبعدها العظيم عن براثا ولان الشيعة لايزالون يقبرون موتاهم فيها ولان مسجد براثا لم يبق له اثر عامر منذ الربع الاول من القرن السابع الهجري .

وذكر العلامة لسترنج في خريطة ص ١٥ من تاريخه لبغداد محلة العتيقة في شرق مدينة المنصور والمنطقة اليوم في شرق مدينة المنصور إلّا انه اخطأ في موضعها اذ وضعها في مايقابل اليوم القلعة والخطأ ظاهر ووضع براثا في غرب مدينة المنصور وذكر باب محول في جنوب باب الكوفة فكانها بين جسر الخر اليوم ومقبرة الست زبيدة اما بادة المحول (لامحلة الباب المسمى بها) فقد وضعها في غرب محلة براثا وكلاهما على نهر عيسى (الخر اليوم) وقال ياقوت عنها في مادة المحول ايضا » ماصورته « المحول : اشتقاقه واضح من حولت الشيء ... بادة حسنة طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والاسواق والمياه بينها وبين بغداد فرسخ ا ه . وفي اخبار المستعصم بالله في الحوادث الجامعة انه ركب الى محلة باب محول وتعهدها لبعدها عن بغداد اذ ذاك .

وقال ياقوت في كرخ زمانه اى الكاظمية وتوابعها : «وعن يسار قبلتها محلة تعرف بباب المحول واهلها سنية وفي قبلتها نهر الصراة وفي شرقيها نصب بغداد ومحال كثيرة واهل الكرخ كلهم امامية لايوجد فيهم سني البتة » قلنا واسم الكرخ في آخر الدولة العباسية يعني الكاظمية بدون شك .

١) اراد محلة براثا (٢) ترك الاسم غفلا خلاف عادته لانه من المتحرفين عن علي عليه السلام فيتور عليه انحرافه احياناً .

بدرب ابي خلف من قطيعة الربيع ... توفي ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وسبعين وثلثمائة » اه . قلنا : ولا شك في ان قطيعة الربيع بالكرخ فقد قال ياقوت في مادة « قطيعة » ما عبارته .

« قطيعة الربيع وهي منسوبة الى الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه وهو والد الفضل وزير المنصور . وكانت قطيعة الربيع بالكرخ مزارع الناس من قرية يقال لها بياوري من اعمال بادوريا وهما قطيعتان خارجة وداخلة فالداخلة اقطعه اياها المنصور والخارجة اقطعه اياها المهدي وكان التجار يسكنونها حتى صارت ملكا لهم دون ولد الربيع » .

وفي « ١ : ١٩٣ و ١٩٤ » من وفيات ابن خلكان « قال احمد بن الحسين سمعت ابا عبدالله بن المحاملي يقول : صليت العيد يوم فطر في جامع المدينة فلما انصرفت قلت في نفسي : أدخل على داوود بن علي أهنئه وكان ينزل في قطيعة الربيع ، قال : فجئته وقرعت عليه الباب فاذن لي فدخلت عليه » . ونقل في ترجمة ابي حامد احمد الاسفرائيني « وقال الخطيب في تاريخ بغداد ... ورأيته غير مرة وحضرت تدريسه في مسجد عبدالله بن المبارك وهو المسجد الذي في صدر قطيعة الربيع » وقال في ترجمة الربيع ما اصله : « وقطيعة الربيع منسوبة اليه وهي محلة كبيرة مشهورة ببغداد وانما قيل لها قطيعة الربيع لان المنصور اقطعه اياها » . وورد في ص ٢٢ من مناقب بغداد : « وما زالت الجمع تقام في جامع المدينة وجامع الرصافة وجامع القصر ومسجد براثا ومسجد القطيعة ومسجد الحربية الى ان تبطلت من مسجد براثا بعد الخمسين والاربعمائة » . قلنا : واراد بمسجد القطيعة : مسجد قطيعة الربيع . والظاهر لنا ان قطيعة الربيع بين الجعيفر اليوم والمنطقة لان الحريم الطاهري كان بين الكاظمية اليوم وغرب مدينة المنصور اي جنوب الكاظمية الغربي على ما في خارطة ص ١٠٧ من لسترنج والظاهر انه كان متصلا الى دجلة ففي ص ٢٧ من مناقب بغداد . « ولم يكن للدار العزيزة مثل دار بلدرك والحريم الطاهري ودورة الشاطئية وسورة الدائر وبابه الحديد ... ووراء الحريم شارع دار رقيق محلة كبيرة كثيرة المنازل العجيبة ثم درب سليمان والمارستان وسوقه العجيب ثم دار النقابة الشاطئية » وقال ياقوت

عن مقابر قريش : « وهي مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقبرة احمد بن حنبل (رض) والحريم الطاهري » وقال ابن خلكان في (١ : ٢٨٨) عن عبدالله بن ناقيا الاديب : « هو من اهل الحريم الطاهري وهي محلة ببغداد » . وقرب الحريم الطاهري « قطيعة زهير » قال ياقوت في مادة « قطيعة » ما صورته : « قطيعة زهير : قرب حريم بني طاهر خربت بالجانب الغربي » فهي تقرب من الحريم من جهة الغرب لا من الشرق لان وراء الحريم كما ذكرنا شارع دار الرقيق ودرب سليمان والمارستان وسوقه ، وتتصل بقطيعة زهير « قطيعة ابي النجم » قال ياقوت : قطيعة ابي النجم : ببغداد ايضا بالجانب الغربي ... وهذه القطيعة متصلة بقطيعة زهير قرب الحريم الطاهري وهي الآن خراب » ويقرب من هاتين قطيعة ريسانة قال ياقوت : « قطيعة ريسانة : بفتح الراء ثم ياء مثناة من تحت وسين مهملة وبعد الالف نون اظنها من قهارمة المنصور : محلة كانت بقرب مسجد ابن رغبان قرب باب الشعير من غربي بغداد » وقال عن باب الشعير « باب الشعير : محلة ببغداد فوق مدينة المنصور ... قالوا : كانت ترفأ اليها سفن الموصل والبصرة . والمحلة التي ببغداد اليوم وتعرف بباب الشعير هي بعيدة من دجلة بينها وبين دجلة خراب كثير والحريم وسوق المارستان » اه .

ومن الجنوب قطيعة العكي قال ياقوت : « قطيعة العكي : وهو مقاتل بن حكيم ... احد قواد ابي جعفر المنصور ... كانت قطيعة ببغداد بين باب البصرة وباب الكوفة من مدينة ابي جعفر المنصور وقد مر ذكره في طاقات العكي » واما غربي الكرخ فقد ذكر فيه لسترنج على حسب خارطة ص ١٣٦ « الضاحية الخطابية » تحت الحريم الطاهري ثم الجزيرة العباسية جنوبها ثم الضاحية الياسرية وهي بشرق براثا التي ذكرناها وبشرقها ضاحية حميد وبشرق هذه ضاحية هيلانة قبالة باب الكوفة والغريب انه ذكر الضاحية الزهيرية بين باب الكوفة وباب البصرة اي بموضع قطيعة العكي .

ولم يبق لنا من حريم مدينة المنصور سوى ما هو من الجعيفر الى المنطقة فهو قطيعة الربيع المذكورة ، وخلاصة البحث ان القول بان القدوري مدفون في

جامع القبلانية بعيد عن الصواب (١) .

٤ — جامع الصفوية بالكاظمية وشيء عن المشهد

ورد في ص ١١٧ من مساجد بغداد ما نصه : « ولما استولى الشاه اسماعيل الصفوي على العراق سنة ٩١٤ هـ نقض المشهد والقبة واعاد بناءها على وضع بديع وغشيت الجدران بالذهب الخالص داخلا وخارجا (كذا) وعلقت النفائس والتحف» قلنا: لم يغش إلا ماحول باب المراد اي الشرقي وعلى غشائه الذهبي كتب: السلطان ابن السلطان ناصر الدين شاه قاجار » فهو المذهب للباب لا اسماعيل الصفوي ، وإلا ماحول باب القبلة وبعض ما على غشائه الذهبي« السلطان بن السلطان وخاقان ...محمد شاه قاجار خلد الله ملكه وانار برهانه وافاض على العالمين بره واحسانه » فهو المذهب له لا غيره ، وإلا احواض المناور فما فوقها والقبتين من الخارج الى رؤوسهن اما داخل الجدران فليس فيه إلا قطعات ذهب قلائل .

وورد في هذه الصفحة نفسها « ولما استرد العراق السلطان العادل الغازي سليم خان العثماني وجاء بنفسه الى بغداد وذلك في سنة ٩٤١ هـ امر حينئذ بأكمال تلك العمارة وانشأ حولها جامعاً عظيماً تقام فيه الجمع والجماعات وهو الى اليوم على رصانته ووضعه » . فزاد محمد بهجة مهذبه عليه : « وبنى منارة في الركن الذي بين الشرق والشمال وهي اول منارة هناك » .

قلنا : ان الذي اشتهر بين الناس انه جامع الصفوية » لا « جامع السلطان سليم » وان المنارة اتمها السلطان سليم لا انشأها والتصريح بالاتمام دون الانشاء ظاهر من البيت الذي في ابياتها عند باب الدرج الاسفل وصخرتها مرتفعة عن الارض قراب مترين وتسعة سنتيمترات وطولها قراب ٩٠ سنتيمتراً وعرضها قراب ٥٠ سنتيمتراً والبيت :

قلدى إمداد أمر عالى إيله ويردى حق بو منارة (اتمام)

١) قال السيد محمود شكري الآلوسي عن دفين الآصفية في ص ٣١ « بل الذي يفهم من كلام بعض المؤرخين انه قبر ابى جعفر المستنصر بالله الخليفة العباسي باني المدرسة المستنصرية وبناء القبر على هذا الوضع يتبين انه مشهد لاحد الخلفاء اذ كان هذا مقبرة لبني العباس كما ذكر بعض المؤرخين »وقال في ص١٠٨ عن المستنصر « ودفن في الدار المتمنة على دجلة ثم نقل تابوته الى تربة الرصافة فدفن تحت قبة كان اتخذها لنفسه مدفنا » وقد نقض بهذا ماقال اولا .

والناس الخبراء يقولون ان سلطان الاتراك امر بطرزه (والطرز عندهم : ملء فراغ ما بين السوف) ويقولون انه امر ببناء المنبر الحجري فقط داخل الجامع وهو الصحيح فقد رأينا المنبر ملصقاً الصاقاً لا مفرغاً تفريغاً وطابوقه اصفر وطابوق الجامع مائل الى البياض وفي أعلى باب الخطيب منه ما نصه : « تم في تاريخ محرم الحرام لسنة ست وخمسين وتسعمائة » وهي محصورة في خلافة سليمان الاول القانوني من « ٩٢٦ الى ٩٧٤ هـ » وقال المهذب محمد بهجة في ص ١٤٦ ما نصه :

«فان الذي استرد العراق من الصفويين انما هو سليمان القانوني فبقي في العبارة لبس لا يزول إلّا بجعل سليم سليمان كما كان اولا ولعل هذا هو الصحيح وان لم يترجح لدي احد الامرين حتى الآن (كذا) واذا صح ان قول المؤلف باني الجامع (كذا) هو سليمان القانوني يبقى عندنا امر المنارة ولا ريب ان ورود اسم السلطان سليم في الابيات يدل على انه هو الذي امر ببنائها وان لم يدخل بغداد على انني قد عدت قول الشاعر التركي في تاريخها (اولدي بوجا نفرا منارة اتمام) فوجدت بين بنائها وبين زمن سليم الثاني بونا شاسعا وقد وددت لو يتسع لي نطاق الوقت فاحل هذه العقدة فانني ما زلت متحيرا في ذلك على ما بذلت من الجهد في مراجعة عشرات المؤلفات التاريخية في التركية والعربية ولعل بعض الواقفين يرشدنا الى الحقيقة ان شاء الله » اه.

قلت : قد طلب اثراً بعد عين لان تحت الابيات المذكورة تاريخ « ٩٧٨ » محفوراً في الرخامة وخلافة سليم الثاني من « ٩٧٤ الى ٩٨٢ » هـ فهي متممة في زمانه بدون شك ولا حاجة الى هذه الجولة العنترية والصولة القوية فكانها قعقعة شنان .

مصطفى جواد